إلهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك ، واجذبني بمنَّتك حتى أقبل عليك .

إلهي كيف أستعزُّ وأنت في الذلَّة أركزتني ؟ أم كيف لا أستعزُّ وإليكَ نسبتني ؟ أم كيف لا أفتقر وأنت الذي في الفقر أقمتني ؟ أم كيف أفتقر وأنت الذي بجودكَ أغنيتني ؟

إلهي ها أنا أتوسَّلُ بفقري إليك ، وكيف أتوسَّلُ إليكَ بما هو محال أن يصل إليك ؟ أم كيف أشكو حالي وهو لا يخفى عليك ؟ أم كيف أترجم لك مقالي وهو منك برز إليك ؟ أم كيف تخيب آمالي وهي قد وفدت إليك ؟ أم كيف لا تحسن أحوالي وبك قامت وإليك ؟[1] .

* * *

الحديث الشريف والأئمة الأربعة :

ما هي منزلة الحديث الشريف في نفوس أئمة المذاهب الأربعة « أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل والإمام مالك » ؟

ورد في كتاب (أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء) ما يلي :

ـ قال الإمام (أبو حنيفة) رضي الله عنه : « لم تزل الناسُ في صلاحٍ مادام فيهم من يطلب الحديث ، فإذا طلبوا العلم بلا حديثٍ فسدوا » .

وقال أيضاً فيما يرويه الإمام الشعراني في الميزان الكبرى : « إياكم والقولَ في دين الله تعالى بالرأي ، وعليكم باتِّباع السُّنَّة ، فمن خرج عنها ضلَّ » .

---

(١) من الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري .

ـ وقال الإمام (الشافعي) رضي الله عنه : « أيُّ سماءٍ تُظلُّني ، وأيُّ أرضٍ تُقلُّني ، إذا رويتُ عن النَّبي ﷺ حديثاً وقلتُ بغيره ؟ » .

وحدَّث الشافعي يوماً بحديث ، فقال له الحميدي ـ شيخ البخاري ـ : أتأخذ به ؟ فقال الشافعي : « رأيتني خرجتُ من كنيسةٍ عليَّ زُنَّار ؟ حتى إذا سمعتُ لرسول الله ﷺ حديثاً لا أقول به ؟! » .

ـ وما أبدعَ تشبيه الإمام (مالك) رضي الله عنه للسُّنَّة حيث يقول : « السنن سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلَّف عنها غرق »[1] .

ـ وقال الإمام (أحمد بن حنبل) رضي الله عنه : « من ردَّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة » ، وقال أيضاً : « ما أعلم الناس في زمانٍ أحوجَ منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان » زمان الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٤١ هـ!!

فقال له أصحابه : ولِمَ ؟ قال : « ظهرتْ بدعٌ ، فمن لم يكن عنده حديث وقع فيها »[2] .

إذاً : أكَّد الأئمة الأربعة لزوم الأخذ بالسُّنَّة النبوية ، وأنَّ من تعلَّم السُّنَّة وعمل بها كان من الفائزين الناجين ، ومَنْ أعرضَ عنها كان ذلك علامة خذلانه وانحرافه .

* * *

---

(١) من كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنَّة : للحافظ السيوطي رحمه الله .
(٢) من كتاب مناقب الإمام أحمد : لابن الجوزي رحمه الله .